مركز مُعلم الأجيال
لحفظ ونشر تراث
البابا شنوده الثالث
بكنيسة السيدة العذراء بالزيتون

سلسلة نُبَذ (٤٢)

عظات روحية

حنوّ الله

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٧

حُنوّ الله*

أحـب أن أكلمكم عن "حنو الله". ونحن نـذكر ذلـك في صـــلواتنـا فنقول عن الرب: "الكثير الرحمـة الجزيـل التحنن". ومـا أكثر الكلام عن حنان الله في المزامير وأسـفار الأنبيـاء. وهو حنـان نـاتج عن محبـة الله ورحمتـه، وهمـا من طبيعته.

فمن طبيعة الله أنه متحنن. وهو متحنن على الكل، وبخاصـــة على الخطاة، حتى إن داود النبي يقول: "فَلْنَسْـقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ وَلاَ أَسْقُطْ فِي يَدِ إِنْسَانٍ" (٢صم٢٤: ١٤).

ومن جهـة الخطـاة، فـإن الله يتحنن عليهم لســببين: من جهـة ضـــعف طبيعتهم التي تميل إلى الخطأ، وأيضًـــا لقوة وحيل

---

* مقالتان لقداســة البابا شــنوده الثالث، نُشــرتا في مجلة الكرازة، بتاريخ ٣١ مارس١٩٨٩م، ٣١ أكتوبر ٢٠٠٨م.

الشـــيطـان الـذي يحـاربهم. وهكـذا نرى داود النبي يقول في المزامير: "الأقوياء قاموا عليَّ"، "الأعزاء طلبوا نفسي".

ويقول في (المزمور١٠٣): "الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيـلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا، وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثامِنَا... لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ".

ومعروف أنه في حرب الشياطين ضد القديس أنطونيوس الكبير، أنــه كـان يقول لهم: "أيهـا الأقويـاء مـاذا تريـدون مني أنـا الضـعيف؟!" "أنا أضـعف من أن أقاتل أصـغركم"... ونحن نقول في صــلاة الســتار: "أنت يا رب تعرف يقظة أعدائي، وضــعف طبيعتي أنت تعلمه يا خالقي". فلهذين السببين يتحنن الله علينا.

والله – في حنوه على الخطاة – يسعى إليهم ليجذبهم إليه:

مثال ذلك ســعيه لخلاص زكا العشــار. فقد دخل بيته وما كان ذلك الإنســـان الخـاطئ ينتظر ذلك. وقال الرب لليهود الذين تعجبوا لدخوله بيت رجل خاطئ: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَـانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ" (لو١٩: ١٠).

وأريانوس والي أنصــنا الذي كان من أقســى الولاة اضــطهادًا للمســيحيين، ســعى الله إليه، وجذبه إلى الإيمان، وحوّله إلى

شهيد، وأيضًا كان قد فعل ذلك مع شاول الطرسوسي، فحوّله من مضطهد للكنيسة إلى رسول (أع٩).

ومن حنان الله في جذب الخطاة، أنه لا يذكر لهم خطاياهم القديمة، ولا يجرح شعورهم بذكر ماضيهم الأثيم.

فمع يعقوب أبي الآباء، لم يذكر له أنه خدع أباه (تك٢٧).

والمرأة الخاطئة التي قابلته في بيت الفريسي، لم يذكر لها أنواع خطاياها (لو٧). ومن جهة تلاميذه، لم يعيّرهم بهربهم وخوفهم.

كذلك لم يعيّر يونان النبي بهربه منه، بل احتمله... والرب في كل ذلك لا يوبّخ كثيرًا. ولم يقل لبطرس الرسول: كيف أنكرتني وقلت لا أعرف الرجل؟!

✝ ومن حنو الله، أنه يفرح برجوع الخطاة ويقبل توبتهم.

يفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ بارًا لا يحتاجون إلى توبة (لو١٥:٧). وهو يقود الخطاة إلى الاعتراف برفق شديد، كما فعل مع المرأة السامرية (يو٤).

ومن أعمق درجات حنوّه، أنه كان يدافع أحيانًا عن بعض

الخطاة مع بشاعة أخطائهم، كما دافع عن المرأة المضبوطة في ذات الفعل، وقال لمن طالبوا برجمها: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ" (يو٨:٧). وكشف لأولئك القساة أخطاء كل منهم، فانسحبوا وتركوها. ثم قال للمرأة: "وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا" (يو٨: ١١).

ومن حنو الله، أنه يغفر للخطاة مهما كانت خطاياهم ثقيلة.

فهو لا يسـرّ بموت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا وحينئذ "كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ" (حز١٨: ٢٢، ٢٣).

وهكذا فإنه دعا إلى عرسـه: الجدع والعرج والعمي وسـائر المساكين (لو١٤:٢١) أي العاجزين روحيًا.

ومن حنو الله على الخطاة، أنه كان يقبلهم مهما تأخروا في التوبة.

كما قبل الذين لجأوا إليه في السـاعة الحادية عشـرة، وأعطاهم مثل الباقين (مت٢٠:٦- ٩). ومثلما قبل اللص اليمين في آخر ساعات حياته (لو٢٣:٤٣). وكما قبل أغسطينوس الذي قال له: "تأخرت كثيرًا في حبك".

وحنو الله ليس فقط على الخطاة، وإنما أيضًـا على المرضـى،

وعلى أهل الموتى، وعلى التعابى، وعلى الجياع.

فمن جهة المرضى، قصص إشفاقه عليهم لا تدخل تحت حصر. ويكفي قول الكتاب إنه كان "يَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْب" (مت٤:٢٣). وكثيرًا ما كان يسبق الشفاء، عبارة "**فتحنن**". ومن أشهر قصص الشفاء، مريض بيت حسدا الذي لم يكن له إنسان يهتم به، فاهتم به الرب وقال له: "قُمِ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ" (يو٥:٨).

أما عن أهل الموتى، فنذكر قصة أرملة نايين التي كانت تبكي على ابنها "فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: لاَ تَبْكِي". ثم أقام ابنها من الموت. ودفعه إلى أمِّه (لو٧:١٣-١٥).

ومن جهة التعابى، يظهر حنو الرب في قوله: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت١١:٢٨).

ومن جهة إشفاقه على الجياع، قصة إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين (مت١٤:١٤-٢١)، وأيضًا إشباع الأربعة آلاف (مت١٥:٣٢-٣٨). ويبدو حنوّه في قوله: "إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ... لِئَلاَّ يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ".

ومن حنو الرب أيضًا على الجياع، قوله في يوم الدينونة للذين

عن اليســـار: "اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي... الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَاب أَبَدِيٍّ" (مت٢٥:٤١-٤٦).

حنو الرب شــمل الأطفال: فقال: "مَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّــغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (مت١٨:٦).

وأقام طفلًا في الوسط وقال: "إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت١٨:٣).

✞ وكان يشفق أيضًا على المطرودين.

فالمولود أعمى- بعد شــفائه - لما طرده اليهود خارج المجمع، وجده الرب ودعاه للإيمان (يو٩:٣٥).

وحنو الرب كان يشمل المديونين أيضًا:

فقال للفريسي: "كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُــونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَــامَحَهُمَا جَمِيعًا" (لو٧:٤٠-٤٢). وجميلة عبارة "**سَــامَحَهُمَا جَمِيعًا**".

وتؤخذ في عمقها عن خطايانا: **إذ لا نستطيع أن نوفي، فالرب يسامحنا جميعًا.**

✞ الرب أيضًا يحنو على الغرباء.

ففي العهد القديم يوصي بإضافة الغريب، ويقول: "تُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (لا١٩:٣٣، ٣٤). وفي العهد الجديد "لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ" (عب١٣:٢).

ما أجمل ما قيل في حنان الرب أنه: "**معين من ليس له معين، ورجاء من ليس له رجاء، ميناء الذين في العاصف**"...

✞ الرب يحنو أيضًا على المُجرّبين.

فهو أمين "الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (١كو١٠:١٣).

✞ وهو يحنو أيضًا على المحتاجين إلى رعاية.

فلما أبصر هؤلاء "تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ

كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ" (مت٩: ٣٦-٣٨).

وقال عن هؤلاء أيضًا في سفر حزقيال النبي: "هأَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا... أَطْلُبُ الضَّالَّ وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ" (حز٣٤: ١١-١٥).

✞ وهو أيضًا يحنو على الضعفاء والمهددين من أعدائهم.

وفي هذا يقول المزمور: "لولا أن الرب كان معنا حين قَامَ النَّاسُ عَلَيْنَا... نجت أَنْفُسُنَا مِثْلَ الْعُصْفُورِ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِينَ. الْفَخُّ انْكَسَرَ، وَنَحْنُ نجونا. عوننا من عند الرب الذي صنع السماء والأرض" (مز ١٢٤).

✞ الرب أيضًا يحنو على المسبيين والمأسورين.

فيقول: "أُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ. أَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ. أُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ" (إش٦١: ١). هو باستمرار إله الضعفاء والمساكين "المقيم المسكين من التراب،

والرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع رؤساء شعبه.

الرب أيضًا يشمل حنوه الحيوانات والطيور.

فهو يقول: "لاَ تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا" (تث٢٢:١٠). ذلك لأن الثور أقوى من الحمار، فإنه يرهقه إن عملا معًا. والرب يشفق على الحمار الضعيف.

كذلك فإن الرب عندما أوصى بيوم راحة في الأسبوع، قال: "لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ" (خر٢٠:١٠).

وكان حانيًا على الطيور. فقال: "إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا" (مت٦:٢٦). وقال "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (مت١٠:٢٩).

الرب أيضًا يحنو على المخلوقات الضعيفة، ويعطيها سببًا للهروب فينقذها من أعدائها. فالغزال أضعف من الأسد، ولكن الله أعطاها سرعة في الجري لتهرب منه. والقط أضعف من الكلب، ولكن الله أعطاه قدرة على تسلق الشجر ليهرب. والفأر أضعف من القط، ولكن الله أعطاه قدرة على حفر أنفاق ليهرب.

الرب أيضًا شمل حنوّه الكنيسة. فوعدها بأن "أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا" (مت١٦: ١٨).

وشـــمل حنوّه الأمم من عبدة الأوثان والأرواح والطبيعة فجذبهم كلهم إلى الإيمان. كذلك أشـــفق على الملحدين، وقادهم أيضًـــا للإيمان، كما فعل مع روســيا الشــيوعية. إننا نحب الله جدًا من أجل حنوّه، فلولا هذا الحنو ما اســـتطاع أحد منا أن يبقى حتى اليوم.

الله عطوف حنون

في الإنســـان قســـوة، أما الله ففيه حنو ورفق، ولذلك عندما خُيَّر داود النبي بين ثلاث عقوبات قال عبارة المشـهورة: ".. فَلْنَسْـقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ وَلاَ أَسْقُطْ فِي يَدِ إِنْسَانٍ" (٢صم ٢٤: ١٤) وهكذا نرى أن أيوب الصـــديق لما وقع في أيدي أصـــحابه الثلاث، أشـــبعوه مذمة واتهامًا، حتى قال لهم: "حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِـــي وَتَسْـــحَقُونَنِي بِالْكَلاَمِ؟ بالكلام؟! هذِهِ عَشَـــرَ مَرَّاتٍ أَخْزَيْتُمُونِي.." (أي١٩: ٢، ٣) أما الله فهو رؤوف ومتحنن، ومن أمثلة تحننه. **أعطانا وصايا في مستوى احتمالنا...**

✞ وصايا في مستوانا

تدرج معنا تدرجًا كبيرًا في وصـــايا العهد القديم إلى كمال العهد الجديد. وقد لام الكتبة والفريســـيين لأنهم يحملون الناس أثقالًا عسـرة الحمل، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْـبِعِهِمْ، وقال لهم: إنهم في ذلـك قـد أغلقوا أبواب الملكوت، فمـا دخلوا ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣: ٤، ١٣).

وهكذا نرى تلاميذ الرب في أول مجمع لهم في أورشـليم الخاص بقبول الأمم، يقولون: "لاَ يُثَقِّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ، بَلْ يُرْسَـــلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَـــاتِ الأَصْـــنَامِ، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ، وَالدَّمِ" (أع ١٥: ١٩، ٢٠) والقديس بولس الرســـول يقول لأهل كورنثوس: "سَـــقَيْتُكُمْ لَبَنًا لاَ طَعَامًا، لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ.." (١كو٣: ٢).

ومن رأفة الله وعطفه، أنه حينما يعطي وصـية، يعطي معها قوة لتنفيذها، فترافقنا نعمته لكيما نســتطيع ويعطينا روحه القدوس ليعمل فينا، لكي نسـتطيع أن نعمل. والله في رأفته يتراءف على خليقته كلها، ليس الإنسان فحسب، بل حتى الحيوان والطبيعة.

عطوف على الحيوان

إن الله منح الإنسان راحة في السبت، أعطى ذلك للحيوان أيضًا، فقال: "وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَسَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لاَ تَعْمَلْ فِيهِ عَمَلاً مَّا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بَهَائِمِكَ.." (تث٥: ١٤).

✞ ولم يهتم فقط براحة الحيوان بل براحة الأرض أيضًا.

فقال: "وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا، وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتُرِيحُهَا وَتَتْرُكُهَا" (خر٢٣: ١٠، ١١ ولا ٢٥: ٣، ٥). وعلى الرغم من التشديد في حفظ السبت وعدم العمل فيه، قال الرب: "مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلاَ يَنْشُلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟" (لو١٤: ٥) وقال أيضًا: "أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟" (مت١٢: ١١) وقال كذلك لمَن لامَه على إبراء المرأة المنحنية في يوم السبت: "مُرَائِي! أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟" (لو١٣: ١٥).

وهكذا جعل إنقاذ أو إطعام ثور أو حمار أو خروف استثناءً واجبًا من وصية عدم العمل في السبت.

ومن شفقته على الحيوان قال: "لاَ تَطْبُخْ جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ" (خر٢٣: ٩، تث١٤: ٢١) وقال أيضًا: "لاَ تَكُمَّ ثَوْرًا دَارِسًا" (١كو٩: ٩). وحتى الآن الثور أثناء الدراسة لا يكمم، بل يمد فمه ويأكل كيفما يشاء، ومن اهتمام الله بالعطف على الحيوان، قال أيضًا: "لاَ تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا" (تث٢٢: ١٠).

ذلك لأنهما ليس بقوة واحدة فإن أسرع الثور سيرهق الحمار والله يشفق على هذا الحمار من الإرهاق. وهكذا عندما دخل السيد المسيح إلى أورشليم ركب على أتان وجحش ابن أتان (مت٢١: ٥) حتى يريحهما في الطريق، إذا يستبدلهما، فيركب على الواحد ويريح الآخر وظهرت شفقه الرب على الحيوان بإشفاقه على حمار بلعام وتوبيخه على ضرب بلعام حماره ظلمًا (عدد٢٢: ٣٢).

✞ **وظهرت شـــفقة الرب حتى على العصـــافير: يحميها ويقيتها.**

وهكذا يقول: "أَلَيْسَ عُصْــفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (مت١٠: ٢٩) وليس هي فقط، بل يقول المزمور: "الْمُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا، لِفِرَاخِ الْغِرْبَانِ الَّتِي تَصْــرُخُ" (مز١٤٧: ٩). **حتى فراخ الغربـان يـا رب؟!** نعم. والغربان أيضًـا ذكرها الكتاب، وكانت لها رسـالة! إيليا النبي في وقت المجاعة، كانت الغربان تأتيه بطعام (١مل١٧: ٤-٦) وهكذا كان يحدث مع الأنبا بولا الســائح، وكما اهتم الرب بالطيور، والعصـافير والبهائم، اهتم أيضًـا بالخروف الضـال وبحث عنه حتى وجده (لو١٥).

✞ **واهتم الله بالحيوانات والطيور في فلك أبينا نوح!**

ادخلها جميعًا في الفلك، ولم يهمل أحدًا منها حتى الحشــرات والهوام، استبقى لها حياة لتعيش، وكان أبونا نوح يقدم لها الطعام كل يوم.. إن في ذلك لعجبًا، أقصد هذا العطف العجيب. ويشفق الله على الحيوان فيمنحه حماية من الطبيعة ومن الافتراس.

الدب القطبي، أو الثعلب القطبي، يعيش الواحد منهما في جو بارد جدًا، لذلك يمنحه الله فراء ثمينًا لتدفئته، تشتهيه النساء الثريات، وتدفع في شرائه ثمنًا وفيرًا، أما حيوانات البلاد الحارة فلا تحتاج إلى فراء فيعفيها الرب منه، ولأن الجمل يعيش في الصحراء، لذلك يعطيه الله قوة عجيبة يتحمل بها العطش والجوع، ويعطي نفس القوة على الاحتمال للنخلة في الصحراء.

وكما يعطي الحيوانات المفترسة مخالب وأنياب لتعيش، كذلك يعطي الحيوانات الضعيفة وسيلة للهرب.

الأسد أقوى من الغزال، يستطيع أن يفترسه. ولكن الرب يعطي الغزال قوة عجيبة في الجري، يمكنه أن يهرب من الأسد، كذلك الكلب يستطيع أن يفترس القط. ولكن الرب يعطي القط القدرة التي يمكنه بها القفز على الأشجار والجدران فينجوا من الكلب... وبنفس الطريقة يعطي العصافير خاصية الطيران فتنجوا، كما يعطي الفأر القدرة على الحفر والاختباء، فينجوا...

ما أعجب شفقة الله!

بل يعطي الله للحيوان جمالًا ومواهب وقدرات تجعله أمثولة.

انظروا جمال الصوت الذي يعطيه الرب للبلابل والطيور

المغردة... انظروا جمال الشكل الذي يعطيه الرب للطاووس، بل للفراشة الصغيرة، انظروا جمال الرائحة التي يعطيها الرب للورود والفل والياســـمين، والأزهار العطرة. تأملوا القدرات العجيبة التي يعطيها الله للنحلة في صـــنع بيوتها بهندســـة دقيقة، وفي صـــنع الشـــهد من الرحيق، بل في صـــنع غذاء الملكات، كل ذلك يأخذ البشر منها طعامًا ودواءً... بل تأملوا النملة في نشاطها وحركتها الدائبة... إن الله يعطي خليقته هذه الصـــفات لكي ما يكون أمثولة أمام الإنسان يشتهي أن يحاكيها.

وإن كـان هـذا عطف الله على مخلوقـاتـه، فكم بـالأولى على الإنسان.

عطوف على الإنسان

يكفي أن الله أوجده بطبيعة ممتازة: له عقل وروح وإرادة.

له العقل الذي استطاع أن يصل إلى الاختراع، ويصنع الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ويصل إلى القمر، ويمشي في الجو في مناطق انعدام الوزن، وأعطاه الإرادة الحرة التي يمكنه بها أن يفعل ما يشـــاء، وأعطاه الذكاء ولم يفهم! ولم يشـــأ الله أن ينزع

الذكاء حتى من الأشـــرار الذين يعصـــونه، وفوق المواهب الطبيعية، وأعطى الله لبعض البشـــر مواهب فائقة للطبيعة وقدرة على صـنع المعجزات، بقوة منه.. ما أعجب ما قيل إن الإنسـان خُلق على صورة الله ومثاله (تك١).

✞ ومنح الله الإنسان الخلود والحياة الأبدية.

منحه أن تكون له حياة دائمة في ملكوته بعد قيامة الجســـد من الموت، ووعده بـالنعيم الأبـدي في عشـــرة الله وملائكتـه، في أورشـــليم الســـمائية "مَسْـــكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ" (رؤ٢١: ٣). وقال للأبرار: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًـا" (يو١٤: ٣) بل وعد الله الذين يحبونه بأن يتمتعوا بمتعة عجيبة في الأبدية، يكفي أنه قيل عنها: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْـمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١كو٢: ٩).

✞ ومحبه الله للبشر أنه دعاهم أبناءه.

وفي هذا يقول القديس يوحنا الرســـول: "انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!" (١يو٣: ١). وأعطانا أن نصـلي له

قائلين: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّـــمَاوَاتِ.." (مت٦) بل إنه يقول: "لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا.. لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ" (يو١٥: ١٥). وهكذا جعل الله الرابطة التي تربطنا به رابطة الحب.

وقيل إنه: "أَحَبَّ خَاصَّـــتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو١٣: ١). وشبه هذا الحب بمحبة الآب لبنيه، وهكذا قال داود النبي في المزمور: "كَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ" (مز١٠٣: ١٣) بل وصـــل الحب أن لقبنا الله بعروس له، ووصـــف حبه لنا بطريقة رمزية في ســـفر نشـــيد الأناشيد.

✞ ووصلت محبة الله للإنسان إلى حد البذل والفداء...

"هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦) وقال السيد المسيح: "أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ"، "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَـعَ أَحَدٌ نَفْسَـهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو١٥: ١٣، ١٤). وبســـبب هذا الحب والبذل والفداء، كان التجســـد وإخلاء الذات (في٢: ٧) وقيل عنه في فدائه لنا: "كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا

كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَـــعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش٥٣: ٦).

✞ ومحبة الله لنا... أعطنا طريق التوبة لمغفرة الخطايا.

فلم يمســـكنا في خطايانا ليعاقبنا عليها، إنما فتح لنا طريقًا للخلاص بالتوبة. وقيل في الكتاب: "إن الله أعطى الأمم أيضًـــا التوبة للحياة" (أع١١: ١٨) بل قال أيضًا: " ِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْـعَةٍ وَتِسْـعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَـةٍ" (لو١٥: ٧). إن الله يتوّبنا فنتوب (إر٣١: ١٨) بل "يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ" (٢كو٢: ١٤).

✞ ومن عطف الله على الإنسان أنه منحه الوحي الإلهي.

وهكذا كلم الله الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق شـــتى (عب١: ١) ومنح البشرية وصاياه وتكلم مع موسى النبي فمًا لأذن كما تكلم أيضًـا مع إبراهيم.. وأعطانا الله الشـريعة المكتوبة "تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١: ٢١). وهكذا علمنا الرب طرقه، وفهمنا سبله وأنار بصائرنا حتى لا نضل الطريق.

بل جعل الله روحه فينا... وجعلنا مسكنًا لروحه القدوس.

وفي هذا يقول القديس بولس الرسول: "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (١كو٣: ١٦). وبحلول روح الله على الناس وفي الناس صار روح الله يعمل فيهم، وصارت لهم ثمار الروح (غلا٥: ٢٢، ٢٣) وصارت لهم أيضًا مواهب الروح المتعددة (١كو١٢) ودخلوا في شركة الروح القدس (٢كو١٣: ١٤) بل صاروا "شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ" (٢بط١: ٤) أي يشتركون معه في عمل الخلاص، شركاء في العمل، وليس في الجوهر أو الطبيعة طبعًا.

☩ ومن عطف الله على الإنسان أن منحه البركة والنعمة..

وبركات الله لا تحصى، أما نعمته فهي موضوع طويل، قد أحدثكم عنه باستفاضة فيما بعد. وبدأت بركة الله للإنسان منذ أن خلقه، وتتابعت البركة على الآباء الأبرار، بل قيل لأبينا إبراهيم: "وَأُبَارِكَكَ.. وَتَكُونَ بَرَكَةً" (تك١٢: ٢) وهكذا سمعنا عن البركة التي منحها الآباء لأبنائهم.

✞ ومن عطف الله على الإنســـان الحفظ والتدبير وخدمة الملائكة.

جميل ومعز ما قيل عن الملائكة: "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!" (عب١: ١٤) وعمل الملائكة في إنقاذ البشـــر وفي تبشـــيرهم لا يدخل تحت حصـــر. ومن عطف الله علينا أننا "ســـنصـــير كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ" (مت٢٢: ٣٠) وتسمى بعض البشر ملائكة (رؤ٢: ٣) مثل يوحنا المعمدان (مر١: ٢) وما أجمل ما يقال عن الملاك الحارس.

✞ ومن عطف الله أنه معنا في التجارب.

لا يجربنا فوق ما نطيق، ويعطي مع التجربة الاحتمال، ويعطي معها المنفذ، وأكاليل وبركات المهم أن نقابل محبة الله وعطفه، بمحبة، ولا يقودنا عطفه إلى اللامبالاة.

✞🕊✞